وقد قيل ان المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم ان من العلم جهلا هو ما ذكرنا يعني يشتغل بغير الواجب ويترك الواجب والا فالعلم لا يكون جهلا وكذلك من اشتغل بعلم القراءة اي القراءة السبعة لانه ترك الواجب المتقدم واشتغل بغير الاهم وكل هذا راجع الى نكتة وذلك ان المشتغلين بهذه الانواع لا يقصدون بقراءتها لله تعالى والا قدموا الواجب الاهم فالاهم فليس تحت قراءتهم طائل وهم كما قال العالم الفاضل كلمة حق اريد بها الباطل وقال ايضا ان الناس على سبع طبقات والسادسة منهم قراء ادعون فطلبوا الدنيا بزي الصالحين قال المحاسبي جهلوا المسالكين فغلطوا الطريق ارادوا الدنيا فلم يقدروا منها على ما يرضيهم ولم يقنعهم الذي رزقوا فحاولوها باسباب الدين فاظهروا التزين والتخشع وزعموا انهم طلبة العلم وحملته ليكون اوقع لهم في قلوب العامة فشتروا به مذاهبهم فتزينوا بزينة ابناء الآخرة واعمالهم اعمال ابناء الدنيا فمثال الصالحين وفعال الجبارين وسنة الصادقين وزينة المتكبرين اعاذنا الله منها وقد قال الشاعر ::

:: تصوف كي يقال له امين :: وما معنى التصوف والامانة ::

:: ولم يرد الاله به ولكن :: اراد به الطريق الى الخيانة ::

وكتب وهب بن منبه الى مكحول اما بعد يا اخي فانه بلغني انك اصبت بما ظهر لك من علم الاسلام محبة عند الله والزلفى واعلم ان احدى المنزلتين ستمنعك من الاخرى فتشبهوا بالعباد في اثوابهم فما ناموا التدبير الناموس وسعوا في عمارة ابدانهم ولاجاليبوس فهم زهاد مالم يمن دينارا ودرهم لا يفضوا ابن دينار فانهم في التهافت على جمع الاحجار ذباب طمع وفراش نار فيتشبهون بالماضين وليس منهم وقد سمعوا منهم فلم يحفظوا عنهم ولقد احسن من قال شعرا ::

اني رأيت

:: اني رأيت الناس في عصرنا :: لا يطلبون العلم للعلم ::

:: الا مباراة لاصحابه :: وعدة للظلم والغشم ::

تنبيه واعلم

ان مثال النحويين مثال عبد جاء اليه كتاب من مولاه يامره وينهاه فهو ياخذ الكتاب ثم يشتغل بقراءة علم الاعراب ويقول اني اريد ان اقراها صحيحا لا لحن فيه وكان كتاب السلطان معربا مشكلا وما كان المقصود منه الا العمل به حتى انه ان علم ما فيه من غير القراءة فقراءته ما كانت واجبة عليه وعلى الجملة اشتغل بقوله بمعرفة اعرابه وما عمل بمقتضاه حتى جاء رسول مولاه ودعاه الى عنده ويريد ان يساله من تقصير ما امره بالكتاب وتطهير ما نهاه عنه فما يكون حاله عند مولاه فافهم حتى تعلم ومثال القراء الذين لم يعملوا بمقتضى كتاب الله مع ان مرتبتهم فوق رتبة النحويين بكثير لانهم يشتغلون بمجرد قراءة كتاب الله او بما هو من متعلقه وهي نسبة العبادة على بعض الوجوه مثال من كتب اليه سلطانه يامره وينهاه ايضا فهو يترك معرفة معناه ونحواه والعمل بمقتضاه ويشتغل بقراءته ليلا ونهارا سرا وجهرا وبتصحيح مخارج حروفه ومعرفة ادغامه واظهاره ومده وقصره ووقفه وغيرها من علم القراءة فلا شك ان السلطان لا يقبل منه هذه الحيلة اذ لم يعمل لنجاة نفسه حيلة لان السلطان ما امره بذلك بل امره بالعمل بما فيه وان لم يقراه فافهم لان الله ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء الاية وقال وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون حتى ضرب تسعة وثلاثين مثلا لهذا الشان فان كنت طالبا للنجاة وراغبا الى المرضاة فاشتغل بعلم الفروض على الاعيان وعلم التقوى والزهد من المعاملات الذي اشرنا الى طرف منه في كتابنا هذا وما لم تفرغ منه ومن العمل بمقتضاه فلا تشتغل بفروض الكفايات فان من يهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة من يكون الافاعي والعقارب داخل ثوبه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة تدفع الذباب عن غيره ممن لا ينجيه ولا يغنيه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)